Nietzsche's Criticism of logic

Dr. Ghassan Alaa alddin*

(Received 29 / 4 / 2019. Accepted 28 / 7 / 2019)

□ ABSTRACT □

During the course of its long history, the science of logic has been massively shaken by a variety of interpretations and reviews. Besides, it has undergone immense criticisms, which led its pioneers to reconsider the nature of the principles and bases on which this science is established, Thus relieving the burden and negativity of such criticism. In this context, Friedrich Nietzsche's criticism of logic is almost one of the most outstanding and profound manifestations of that science, Which created a fertile ground from which the latter philosophers, who followed the criticism founded and nourished by Nietzsche, emerged. Hence, in this research, we try to shed light on the nature of Nietzschean criticism of logic by digging deep into the texts and deconstructing them for the purpose of uncovering the justifications of this criticism, and identifying the contexts of knowledge from which Nietzsche has begun his deep philosophical practice of that criticism.

Keywords: Logic, Non-logic, Truth, Untruth, Error.

* **Associate Professor, Department of Philosophy, Faculty of Art and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

نقد المنطق عند نيتشه

د. غسان علاء الدين*

(تاريخ الإيداع 29 / 4 / 2019. قبل للنشر في 28 / 7 / 2019)

□ ملخّص □

لا مراء أنَّ علم المنطق أصيب خلال تاريخه الطويل بهزات عنيفة، وخضع لتغيرات وتفسيرات عديدة، كما تعرَّض لانتقادات جمَّة، دفعت بالعديد من الفلاسفة والمفكرين إلى إعادة النظر بطبيعة المبادئ والقوانين الأساسية التي نهض عليها، ويُعدُّ النقد الذي وجهه الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه للمنطق من أبرز وأعمق ما قدمه الفكر الإنساني من انتقادات، إذ مثّل هذا النقد، في أحد أبرز جوانبه، أرضاً خصبة وجد فيها العديد من الفلاسفة مدخلاً لممارسة أعمالهم الفلسفية التي تناولت المنطق فيما بعد. يحاول هذا البحث الإضاءة على طبيعة النقد النيتشوي للمنطق وذلك عبر دراسة تحليلية استقصائية لبعض النصوص النيتشوية بغرض الكشف عن مبررات هذا النقد، والوقوف على الأرضية الفكرية التي انطلق منها نيتشه في ممارسته لهذا النقد.

الكلمات المفتاحية: المنطق، اللامنطق، الحقيقة، اللاحقيقة، الخطأ.

* أستاذ مساعد–قسم الفلسفة–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–جامعة تشرين–اللاذقية–سورية.

مقدمة:

من المعلوم، بالنسبة لدارسي الفلسفة، أنَّ أرسطو (384–322 ق.م)، الملقب بالمعلم الأول، هو المؤسس الحقيقي لما يُسمَّى بعلم المنطق، الذي سُمِّي فيما بعد بالمنطق الصوري أو التقليدي، لكن هذا لا يعني أنَّ أرسطو هو أول من تحدث عن المنطق، أو طبقَّه في دراساته الفلسفية، فالإرهاصات الأولى للمنطق تعود إلى ما قبل أرسطو، وتحديداً إلى فلاسفة إيليا، وعلى وجه الدقة بارمنيدس (540–480 ق.م) الذي اعتمد في تفسيره للكون على النتائج والاستخلاصات المنطقية، مصرحاً أنَّ الوجود في هوية مع ذاته، وأنه وحده الموجود نافياً هذه الصفة عن اللاوجود، ثم تبعه آخرون كما كان الحال عند سقراط (469–399 ق.م) وتلميذه أفلاطون (427–347 ق.م) اللذان طبَّقا في فلسفتيها أسلوب الجدل المنطقي، إلا أن هذه الاشتغالات الأولى في المنطق لم ترقَ البتَّة إلى مستوى العلم حتى مجيء أرسطو و افتتاحه دروسه المنطقية في أغلب مباحثه الفلسفية.

لقد ظل المنطق الأرسطي مسيطراً على الفكر البشري طيلة العصرين القديم والوسيط من غير منازع، إلى أن جاء فرانسيس بيكون(1561–1626 م) أحد أبرز مفكري عصر النهضة الأوربية، وضرب القداسة التي تمتَّع بها هذا المنطق لقرون خلت، منطلقاً من قناعة مفادها أنَّ المنطق الأرسطي عمد إلى تثبيت وترسيخ الأخطاء أكثر من البحث عن الحقيقة واستجلاء معالمها والوقوف على منافعها. وقد شكَّلت هذه القناعة بالنسبة له دافعاً للعمل على استبدال الأورغانون الأرسطي بأورغانون جديد، ديدنه دفع الباحثين والعلماء إلى استخدام المنهج الاستقرائي التجريبي كبديل عن القياس الأرسطي. وقد شكَّل هذا النقد البيكوني حافزاً لتتالي الانتقادات التي طالت المنطق الأرسطي فيما بعد، كالنقد الديكارتي والكانطي، وصولاً إلى النقد الحاد الذي وجهه نيتشه (1844–1900 م) لذلك المنطق.

أهمية البحث وأهدافه:

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من السعي إلى تقديم دراسة تستجلي موقف نيتشه من مشكلة المنطق بغرض الكشف عن الجديد الذي قدمه مقارنةً بأسلافه ممن تناولوا هذه المشكلة بالنقد.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى توجيه النظر إلى إحدى المحاولات الجادَّة الرامية لنقد المنطق انطلاقاً من كونه يمثِّل، في نظر نيتشه، أحد أبرز جوانب التفكير الميتافيزيقي الذي كان له تبعات سلبية على الإنسان، كونه جعل هذا الأخير يقف على مفترق عالمين؛ أحدهما حقيقي والآخر وهمي، الأمر الذي جعله يعيش اغتراب وتمزق في سلوكه وحياته.

منهجية البحث:

لا يمكن لأي بحث أن يحقق أهدافه ويصل إلى مبتغاه مالم يُعَالج موضوعه بأسلوب منهجي يلائم الموضوع المدروس، وانطلاقاً من ذلك اعتمدنا في بحثنا على منهج التحليل النقدي الذي يسَّر لنا فحص وتحليل نصوص نيتشه، بما يمكننا من الوقوف على المبررات التي دفعته لنقد المنطق آخذين بالحسبان طبيعة الأدوات الفكرية التي اعتمدها في ذلك النقد.

الحقيقة والمنطق:

كان الوصول إلى الحقيقة واستجلاء معالمها هو المبتغى الذي يسعى إليه الفلاسفة على اختلاف مذاهبهم وتنوع مدارسهم وأنساقهم، وهذا ما لم يكن متاحاً أمامهم من غير أن يتحقق لهم الفصل الكامل بين الحقيقة والخطأ، بداعي منح الأفضلية للحقيقة والتأسيس لها مع إقصاء واستبعاد الخطأ لا من ساحة الفكر فحسب، وإنما من واقع الحياة أيضاً، وذلك من خلال إيجاد أداة تمكِّن العقل الإنساني من القيام بتلك المهمة على خير وجه، فكان المنطق بهذا السياق هو الأداة الفضلى التي مكَّنت الفلاسفة ورجال المنطق من التمييز بين ضربين من المعرفة يتمثَّلا في الحقيقة واللاحقيقة، حتى أضحى بمستطاعهما أن يتحدثا عن تفكير منطقي مُنتِج ، في مقابل تفكير لا منطقي عبثي لامعنى له.

لقد اتخذت عملية الفصل بين الحقيقة والخطأ صوراً متعددة ومختلفة، تعادل تعدد واختلاف ميادين البحث عن الحقيقة ومناهجها، بحيث أصبح يجري الحديث عن فصل معرفي بين العقل والحس، وآخر أنطولوجي بين الوجود والعدم، وثالث أخلاقي بين الخير والشر...الخ، وإذا ما سلَّمنا بأن عملية الفصل تلك قد خطت أولى خطواتها مع بدايات التفكير المنطقي، فلا شك أنَّ بارمنيدس، المُلقَّب بنبي الحقيقة، هو أول من مارس هذا الفصل لكونه "**بدأت معه أول محاولة فلسفية لفهم الكون بواسطة البحث المنطقي**" [(1)].

ففي معرض محاولته لتفسير الوجود، عبر قصيدته التعليمية التي لخَّص فيها موقفه من الحقيقة، يتساءل بارمنيدس: هل يمكن لشيء غير موجود أن يكون؟ وبعبارة منطقية هل يمكن لـ (أ) أن تساوي (لا أ)؟ فيجيب أن (أ) تساوي (أ) ولا شيء آخر[(2)] ، أي أنَّ الوجود وحده موجود، أما اللاوجود، فهو مجرد وهم وخطأ. وفي الإجابة على سؤال ما السبيل للتحقُّق من ذلك؟ يقول بارمنيدس: "**لا تعتمدوا فقط على النظر الفظ، ولا على السمع الأصم، ولا على اللسان، ولكن اخضعوا الأشياء إلى تجربة قوة الفكر وحدها**"[(3)]، يوضِّح هذا القول البارمنيدي أن طريق الوجود هو العقل، وليس الحواس، فإذا كان بارمنيدس في عبارته الأولى قد اعتبر أنَّ "**كل شيء مرتبط بالتمييز الحاد بين الوجود واللاوجود**"[(4)]، فإنه في عبارته الثانية، التي حاول فيها تحديد طريق إدراك الوجود، فصل بين العقل والحس، وكأنّهما ملكتان متميزتان[(5)]، ومن هنا نلاحظ أن عملية الفصل بين النقيضين وتفضيل إحداهما من خلال إقصاء الآخر قد تمت عند بارمنيدس على مستويين: أنطولوجي يتمثَّل بفصل الوجود عن اللاوجود، ومعرفي يتمثَّل بفصل العقل عن الحس. هذان المستويان شكَّلا لاحقاً الأرضية التي انطلق منها جلُّ الفلاسفة الميتافيزيقيين لترسيخ عملية الفصل بين طرفي الأزواج المتناقضة والثنائيات المتعارضة.

وهذا ما نلاحظه بالفعل لدى العديد من الفلاسفة، وفي مقدمهم سقراط، الذي اتخذت عملية الفصل لديه بعداً أخلاقياً تجلّى بالتمييز بين الخير والشر، بين الفضيلة والرذيلة، مع الانحياز الواضح للطرف الأول على حساب الثاني. إلا أنَّ هذه العملية تعمَّقت أكثر عند تلميذه أفلاطون من خلال تمييزه بين عالمين، أحدهما: عقلي، مثالي يمثِّل الحقيقة الأزلية،

---

1 – إمام، إمام عبد الفتاح: مدخل إلى الميتافيزيقا، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م، ص97.

2 – نيتشه، فريدريك: الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي، ترجمة سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1983م، ص71.

3 – المصدر السابق، ص72.

4 – المصدر السابق، ص71.

5 – المصدر السابق، ص73.

والآخر حسي، يمثِّل الوهم والخطأ، "**لذلك روَّج أفلاطون فكرة الاستياء من الطبيعة، والحرمان من جميع الأشياء الأرضية، مقابل التبجيل المتعصِّب للعقل وقدراته باسم المثالي**"[6]، وعلى نفس النهج سار مؤسِّس علم المنطق، أرسطو، الذي قطع، من خلال صياغته لمقولات العقل وقوانينه، كل علاقة للحقيقة بالخطأ ليجعل من الحقيقة النقيض المطلق للخطأ[7].

بيد أن هذا الفصل الميتافيزيقي لم يقتصر على فلاسفة اليونان فحسب، بل إننا نجد ملامحه عند بعض مفكري عصر النهضة والعصر الحديث بدرجة ما، فها هو فرانسيس بيكون أحد أبرز روَّاد عصر النهضة – والذي يُعدُّ أول من تجرَّأ على نقد المنطق الأرسطي من خلال الاستعاضة عنه بمنطق الاستقراء – يتخذ من عملية الفصل بين الحقيقة والخطأ سبيلاً لنقد ذلك المنطق، ويتضح ذلك من خلال قوله: "**نسق المنطق الحالي يفيد في تثبيت وترسيخ الأخطاء القائمة على الأفكار السائدة أكثر مما يفيد في البحث عن الحقيقة، ومن ثم فإن ضرره أكبر من نفعه**"[8]، وهذا يُعدُّ دعوة صريحة من طرف بيكون لاستبعاد الخطأ من مجال البحث عن الحقيقة نهائياً، بحيث يتضح هذا الاستبعاد لديه من خلال اعتماده في وضع أسس الاستقراء على ما يسمى بمنهج "**الرفض والاستبعاد**"[9]، والذي يعني إقصاء كل الحالات الخاطئة التي لا تؤيِّد الحقيقة العلمية المتمثلة بالقانون العلمي.

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الحديث، يمكن النظر لدعوة ديكارت (1596–1650 م) من أجل اعتماد المنهج الرياضي كبديل عن المنطق الأرسطي على أنها استمرار لنهج أسلافه في محاولتهم بلوغ الحقيقة، إذ نراه يجهد في الفصل بين العقل والجنون بغرض إقصاء الجنون من مجال الشكِّ الذي تمارسه الذات العاقلة وهي تشقُّ طريقها نحو الحقيقة، حيث أعلن ديكارت أن الذات المفكرة، قد تحلم وقد تتوهم وقد تخطئ، لكنه نفى عنها بشكل حاسم إمكانية الجنون، بمعنى أن الذات العاقلة لا يمكن أن تكون مجنونةً ولو لبرهة، لكونها ذاتاً مفكرة[10]، فالجنون وفق هذا الفهم الديكارتي مُقصَى ومُستبعَد عند الذات العاقلة التي تمارس الشكَّ باعتباره مدخلاً إلى اليقين.

نلاحظ من خلال هذا العرض الموجز لتاريخ الفصل بين الحقيقة والخطأ وتفضيل الحقيقة مع إمكانية استبعاد الخطأ، أن جلَّ الفلاسفة الذين سعوا لبلوغ الحقيقة – سواء أكانوا من مناصري المنطق أو من نقَّاده – قد اعتمدوا في ذلك على التفكير المنطقي، كما نلاحظ أنَّه رغم كلِّ الانتقادات التي وُجِّهَت إلى المنطق، وكلِّ المحاولات التي سعت إلى استبداله بأداة أو معيار أخر، ظلت بمجملها ترتوي من نبع المنطق ذي الأساس الأرسطي لأنَّه سواء تعلَّق الأمر بالمنطق التقليدي أو الحديث لم تتغير البداهات التي يتأسس عليها خطاب الحقيقة[11]، لقد بقيت الحقيقة هي هي، تتسم بالقداسة والمطلقية والأزلية قابعة في عالم مفارق ومستقل عن الحياة. لقد ظلَّت الشغل الشاغل للعقل البشري على امتداد تاريخه، وبقيت الأمل المخبوء في الأفق، والحلم الذي يصبوا إليه كلُّ عقل بشري. وربما كان هذا هو السبب الذي جعل من

---

6 - Calin, A. s: Unphilosophical Philosophy, A thesis of Master, Faculty of Arts, Carleton University, 2013, P.27.

7 – بن أحمد، يوسف: منظورية الحقيقة عند نيتشه، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد102، 1998م، ص52.

8 – بيكون، فرانسيس: الأورجانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م، ص19.

9 – فهمي زيدان، محمود: الاستقراء والمنهج العلمي، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1977م، ص65.

10 – صالح، هاشم: فيلسوف القاعة الثامنة، ضمن مجلة الكرمل، العدد 13، 1984م، ص20.

11 – حرب، علي: الماهية والعلاقة، نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998م، ص16.

المفكر العربي ذي التوجهات النيتشوية، علي حرب، يعتبر أنَّ الانقلاب على المنطق الصوري، قديمه وحديثه، لم يتحقَّق إلا على يد نيتشه على اعتبار أنَّه أول من حاول تفكيك مفهوم الحقيقة [12].

ثانياً– مشكلة الحقيقة:

إنَّ الوقوف على نقد نتشه للمنطق لن يتضح وتُستجلى أبعاده ما لم يتم العمل على رصد موقف نيتشه من الحقيقة التي تظهر في تضاعيف كتابه (ما وراء الخير والشر) عندما يسأل: ما الذي فينا يريد الحقيقة؟ لقد تساءلنا واستعلمنا عن قيمة هذه الإرادة، وعلى فرض أننا نريد الحقيقة فلماذا لا نسعى خلف اللاحقيقة؟ يبدو لنا أنَّ المشكلة لم تطرح من قبل بهذا الشكل، وكأننا أول من طرحها[13]. بهذه العبارة يحاول نيتشه أن يحدِّد موقفه من اللاحقيقة التي لم تطرح من قبل الفلاسفة بوصفها مشكلة تحتاج إلى التأمل والتفكير، لأنهم افترضوا أن الحقيقة شيء موجود وكفى، وهذا يعني أن دورهم ينبغي أن ينحصر في معرفتها والكشف عنها من دون أن يتساءلوا يوماً عن قيمتها. ولذلك نجد أنَّ نيتشه حانق على ممارسات الفلاسفة إزاء الحقيقة لا سيما تلك القائمة على التمييز الذي أقاموه بينها وبين الخطأ، والذي كان من نتيجته أن أضحت الحقيقة مستقلة عن جميع شروط الحياة ومنعزلة عنها. إن "**ما تولاه هؤلاء الفلاسفة على مرِّ آلاف السنين الماضية تحول إلى مفاهيم محنَّطة، لا شيء حقيقي تمكَّن من الهرب حياً من قبضتهم. وكلما وقّر هؤلاء مؤلهي المفهوم شيئاً، قتلوه وأكلوه، لقد امتصوا الحياة من كلِّ ما عبدوه**"[14]، ومن هنا كان تساؤله لماذا لا نسعى وراء اللاحقيقة والخطأ، أليس من المرجَّح أن يكون الخطأ هو أصل الحقيقة؟ انطلاقاً من ذلك اعتبر نيتشه نفسه أول من تجرَّأ على أشكلة مفهوم الحقيقة.

يبادر نيتشه في مؤلفه (العلم المرح) إلى الإقرار بأنَّ العقل لم يُنتِج خلال ردح من الزمن سوى أخطاء كان بعضها مفيداً، وصالحاً لحفظ النوع، مثل هذه الأخطاء لم تفتأ تنتقل وراثياً حتى تحولت إلى حقيقة مشتركة بين أبناء الجنس البشري[15]. فهكذا تكون الحقيقة بالنسبة لينتشه هي نتيجة خطأ ارتكبه العقل الإنساني، ولكن ليس أي خطأ، بل ذلك النوع من الخطأ الذي يفيد الحياة. وهذا ما يجعل منها صناعة إنسانية، فهي لم تهبط إلينا من السماء، أو من مصدر مجهول، ولم تكن يوماً مستقلة عن شؤون حياتنا، لكن الاستعمال المطول والمتكرر لها، فضلاً عن انتقالها من جيل إلى آخر جعل الإنسان ينسى أنها من صنع يديه، الأمر الذي أكسبها صفة القداسة، وفي هذا السياق يأتي تعبير نيتشه "**الحقائق عبارة عن أوهام نسينا أنها كذلك**"[16]، وهو يسوق في هذا المنحى المثال الآتي: لقد لجأ الإنسان من أجل استمرار حياته على الأرض إلى ضبط الزمان والمكان فاخترع لهذا الغرض ما يسمى بخطوط الطول والعرض، كخط الاستواء وخط غرينتش، لكن الكثير من البشر يعتقد أن هذه الخطوط حقيقية، في حين أنها خطوط وهمية ابتكرها الإنسان لنفع حياته ليس إلا.

---

12 – حرب، علي: الماهية والعلاقة، نحو منطق تحويلي ، ص17.

13 – نيتشه، فريدريك: ما وراء الخير والشر، ترجمة سليمان حسون، دار الكوثر، دمشق، ط1، 2009م، ص14.

14 – نيتشه، فريدريك: أفول الأصنام، ترجمة سليمان حسون، دار الكوثر، دمشق، ط1، 2009م، ص25.

15 – نيتشه، فريدريك: العلم المرح، ترجمة حسان بورقية، أفريقيا الشّرق، الدار البيضاء، ط1، 1993م، ص123.

16 – دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، الحقيقة، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2005م، ص74.

ثالثاً– مشكلة المنطق:

لاحظنا كيف أنَّ غرض الفلاسفة الرئيسي من أعمالهم الفلسفية هو الكشف عن الحقيقة، من خلال الاستعانة بالمنطق بوصفه الأداة المنهجية المناسبة التي تتيح للعقل إمكانية التمييز بين الخطأ والصواب باعتبار أن الأخير هو الحقيقة ذاتها، وهذا ما جعل نيتشه يصف المنطق، لا سيما الأرسطي، بأنه منطق ثنائي القيمة، كونه يقوم على ثنائية الحقيقة والخطأ، الخير والشر، الظاهر والباطن[17]، الأمر عينه الذي تقوم به الميتافيزيقا في نظره .

وعلى ذلك يمكن القول: إن عملية الفصل المذكورة بين المتناقضات ساهمت بشكل أو بآخر في تعميق وترسيخ ما يسمى بالخطاب الميتافيزيقي حول الحقيقة، هذا الخطاب الذي تغذى على فكرة أنَّ كل اختراق للحدِّ الفاصل بين الحقيقة والخطأ هو خلط للوجود بالعدم، وخرق لمبادئ العقل الأساسية، ومزج للصدق بالكذب[18]. لكنَّ نيتشه الذي عوَّدنا على كل ما هو جديد وغير مألوف يسارع إلى جبِّ هذا الفصل الاعتباطي والمفتعل، لذلك فهو يعلن أنه "لا يهدف إلى تزويدنا بالحقيقة، بل فضح زيف الفلسفات السابقة، فأعماله مصمَّمة لتضيء لقارئه أن يعيش بدون معيار للصواب والخطأ"[19]، بله ليدفع به كي يرجع الحقيقة إلى الخطأ وحده.

والسؤال الذي يطرق الذهن هنا، إذا كان نيتشه قد نظر للحقيقة بوصفها إحدى نواتج أخطاء العقل الإنساني، فكيف تجلَّت نظرته للأداة التي اتبعها العقل للوصول إلى الحقيقة؟ أي كيف نظر إلى المنطق؟

ينطلق نيتشه في تحديد موقفه من المنطق من فكرة (سيولة العالم وسديميته) والتي تعني أنَّ الفوضى تعمُّ العالم الذي يفتقر إلى أدنى شكل من أشكال التنظيم والترتيب، وهو الأمر الذي أقلق الإنسان وتركه في حيرة من أمره، ولكن لما وجد نفسه مضطرَّاً كي يحيا وسط هذا العالم كان لزاماً عليه أن يقوم بضبطه وإعادة ترتيبه، ولجم فوضاه، فلجأ إلى العقل لإجراء مجموعة من العمليات، كالفهم والترتيب، وتنظيم الأشياء المتماثلة. فمن لم يكن من البشر يجيد الترتيب أو لم يكن باستطاعته تمييز المماثل من الغذاء أو الحيوانات المفترسة، كان حظه في البقاء على قيد الحياة أقل من ذاك الذي يقع مباشرة على المماثل، وهذا الميل إلى المماثلة رغم عدم وجود أشياء متماثلة في الواقع هو الذي خلق أساس المنطق[20]. ولعلَّ نيتشه أراد أن يعلِّمنا، من خلال أسلوبه في كتابة مؤلفاته على شكل شذرات وفقرات متقطِّعة، بأن العالم يوحي بالفوضى أكثر مما يوحي بالنظام والتناسق، وهذا ما دفع العديد من نقَّاد فلسفته ليتهمونه بالغموض، ولكنَّ بعضهم رأى بأنه على الرغم من هذا الغموض، فإن شذراته تبدو حِكَم موحَّدة وتشكِّل فلسفة كاملة[21].

إذاً فالترتيب والتنظيم وتمييز المماثل، وتصنيف الأشياء بغية إدراجها ضمن مفاهيم معينة هي أمور لا تمت للواقع بصلة، وإنما هي مجموعة إجراءات مارسها العقل الإنساني وحاول تطبيقها على حوادث العالم لكونها كانت ضرورية له، "**لقد كان القصد هو خداع النفس بطريقة نافعة؛ وكانت الوسيلة هي ابتكار صيغ ورموز يمكن بواسطتها اختزال التعددية المزعجة في ترسيمة نافعة وسهلة الاستعمال**"[22]، تمثلت بالعمل على تبسيط العالم واختزاله في قوالب

---

17 – أندلسي، محمد: نيتشه وسياسة الفلسفة، دار توبقال، المغرب، ط1، 2006م، ص30.

18 – بن أحمد، يوسف: منظورية الحقيقة، ص51.

19- Calin, A. s: Unphilosophical Philosophy, P.2.

20 – نيتشه، فريدريك، العلم المرح، ص125.

21- Kanfman, Walter: Nietzsche, Philosopher, Psychologist, Antichrist, Princeton University press, New-Jersey, 1974, P. 14.

22 – نيتشه، فريدريك: إرادة القوة، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011م، ص226.

مغلقة وثابتة لا يعرف التناقض طريقاً إليها. وهذا ما غاب عن أذهان الفلاسفة، فبدلاً من أن يتعاملوا مع المنطق على أنه وسيلة لملائمة العالم والغايات النفعية فقد تعاملوا معه على أنّه معيار الحقيقة [23]، فمهمة المنطق وفق هذا الفهم النيتشوي لا تتمثل بتحديد الحقيقة أو الكشف عنها، وإنما في نفع الحياة، وتلكم هي حقيقة المنطق.

وإذا كان نيتشه قد نظر إلى الحقيقة بوصفها إحدى نواتج الأخطاء والأوهام التي ارتكبها العقل البشري، فإن المنطق برأيه هو ذلك الخطأ والوهم الذي مارسه العقل على الواقع، أي أنَّ المنطق لا وجود له سوى في عقل من يؤمن به، إذ لا وجود لشيء على أرض الواقع اسمه المنطق. فـ "**المنطق يرتكز على مسلمات لا يقابلها شيء في العالم الواقعي**" [24]، لكن ما طبيعة هذه المسلمات وما هي كيفية عملها؟ والأهم هو كيف نظر إليها نيتشه؟

يميز نيتشه بين مقولات العقل وقوانينه، فمقولات العقل هي (الجوهر، الذاتية، السببية، الغائية)، أما قوانين العقل فهي (قانون الهوية، عدم التناقض، الثالث المرفوع)، ورغم هذا التمييز إلا أنها تندرج جميعاً برأيه في خانة ما يسمى (مسلمات المنطق)، التي تمثل آلية عمل العقل، والسؤال المطروح في هذا السياق: هل هذه المسلمات من أصل الواقع أم من أصل العقل؟

في الحقيقة انقسم الفلاسفة إزاء تفسير هذه المسلمات إلى فريقين، فإذا كان الفريق الأول اعتبر أنَّ هذه المسلمات من أصل العقل لأنها فطرية وسابقة على كل تجربة، فقد رفض الفريق الثاني ذلك وأصرَّ على أنها (أي المسلمات) من أصل العالم والوجود، لكن نيتشه لم يوافق على أي من الرأيين، فما هو رأيه الحقيقي إذاً؟

يتساءل نيتشه في مؤلفه (إرادة القوة): "**هل المسلمات المنطقية مطابقة للواقع، أم أنَّها مقاييس ووسائل لنخلق بها، لنا نحن، الأشياء الحقيقية؟**"[25] إن هذا التساؤل يومئ إلى أنَّ نيتشه يحصر مشكلة المسلمات في أمرين أساسيين لا ثالث لهما، هما: (المطابقة ووسائل الخلق)، فهو لا يتساءل ما إذا كانت المسلمات قبلية أم من أصل الواقع، لأن الموضوع بالنسبة لديه محسوم سلفاً، فهي ليس بهذا ولا بذاك، وبيان ذلك هو أن نيتشه ينظر إلى العالم من منظور البراءة، فهو ليس بالخيِّر أو الشرير، ولا يوجد فيه شيء يوصف بالحقيقي أو بالخاطئ، إنه عالم ما وراء الخير والشر، ما وراء الحقيقة والخطأ، سمته الأساسية الفوضى، ففضلاً عن انعدام الترتيب والتنظيم، فهو خلو من كل ما يسمى بالمقولات أو القوانين، وهذا يقطع مع القول إنها من أصل العالم من جهة، ومن جهة أخرى يعتبر أن العقل ما كان له أن يوجد لو لم نكن بحاجة إليه[26]، وينطبق الأمر على قوانينه ومقولاته، فهي ليست فطرية ولا قبلية، فلا يبقى، والحالة هذه، إلا القول بأنَّ حاجة الإنسان للعيش ورغبته في الاستمرار في الحياة بدافع تحصيل المنافع هما من أوجد العقل، وهذا الأخير بدوره هو من اخترع هذه المقولات والقوانين وطبَّقها على الواقع وقال بضرورة خضوع الواقع لها بحيث أنّه لو ظهر بينهما تعارض لكانت مقولات العقل ومبادئه هي الصحيحة دوماً، وكان علينا بمقتضى ذلك أن نفسر الواقع تبعاً لما تتطلبه هذه المقولات والمبادئ [27]. ومن هنا كان قول نيتشه: "**اعتقدنا أننا نملك في أشكال العقل معيار**

---

23 – المصدر السابق، ص225.

24 – نيتشه، فريدريك: إنسان مفرط في إنسانيته، ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2002م، ص22.

25 – نيتشه، فريدريك: إرادة القوة، ص208.

26 – زكريا، فؤاد: نيتشه، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت، ص12.

27 – المرجع السابق، ص68.

الواقع، بينما لم نكن نسعى من وراء الأشكال إلا إلى التحكم في الواقع، لكي نسيء فهم الواقع بطريقة ذكية"[28]، وبالنتيجة يمكن القول: إنَّ مقولات العقل وقوانينه ليست إلا أوهاماً اخترعها العقل الإنساني وأسقطها على العالم بغية فهمه وتفسيره ومحاولة التحكم به.

رابعاً: خاتمة:

إذا كان جلُّ الفلاسفة الذين سعوا إلى تقويض المنطق الأرسطي قد عملوا على تقديم البدائل عن هذا المنطق، ألم يدعو بيكون، كما أسلفنا، إلى إحلال منطق الاستقراء مكان المنطق الأرسطي؟ وديكارت إلى استبداله بالمنهج الرياضي، فضلاً عن كانط الذي قال بالمنطق المتعالي؟ إذا كان الأمر على هذا النحو ألا نستطيع سحبه على نيتشه أيضاً على اعتبار أنَّه أحد نقَّاد هذا المنطق؟ وبعبارة أخرى ألا نستطيع القول: إنَّ نيتشه لم ينتقد المنطق السائد إلا لأنه صاحب مشروع جديد في هذا المجال أراد من خلاله أن يقدم منطقاً جديداً يغاير تمام المغايرة ذاك المنطق الذي سيطر على الفكر الإنساني لا سيما الفكر الأوربي لقرون خلت؟ وإذا كان هذا الأمر صحيحاً فما هو الأساس الذي ينهض عليه هذا المنطق؟

إن الإجابة على هذا التساؤل ليس بالأمر اليسير، وهو يضعنا أمام تحديات جمَّة، تقتضي منا إعادة النظر بالعديد من المصطلحات والمفاهيم المتعلقة بالمنطق، وفي مقدمتها مصطلح المنطق ذاته.

إذا ما طالعنا الكتب التي تتناول المنطق بالدراسة والتحليل سنجد أنَّ للمنطق تعريفات كثيرة، ومتعددة بتعدد الفلاسفة والمفكرين ممن تطرقوا إلى دراسته، هذا يعني أن تعريف المنطق وتحديد موضوعاته ظلَّت قضايا إشكالية منذ تأسيسه على يد أرسطو وحتى يومنا هذا، زدْ على ذلك: إنَّ أرسطو، واضع علم المنطق، لم يستخدم كلمة منطق مطلقاً، بل استخدم ما يسميه التحليلات الأولى أو العلم التحليلي، وإذا كانت كلمة المنطق تدل، بحسب اللسان العربي، على الكلام، فلنتساءل: ألا يلهج الإنسان بلسان عاطفته وغرائزه ولاشعوره كما يلهج بلسان عقله؟ ولماذا علينا أن نقصر كلمة المنطق على الكلام الصادر عن عقل ممنهج يتسم بالنسقية؟ وإذا كانت كلمة منطق تشير إلى التفكير، فلماذا نحصر معناها بالتفكير المتسق، الصارم، والبارد؟ أليس هناك تفكير عاطفي، أو لنقل انفعالي بجانب التفكير العقلي؟ وإذا ما أخذنا هذه الاعتبارات على محمل الجد، ألا تصبح كلمة منطق أكثر شمولية واستطالة، لتشير إلى مجمل طرائق التفكير التي يمارسها الإنسان خلال حياته؟ تلك التساؤلات تدفعنا للقول بأنَّه كما نتحدث عن منطق للعقل قائم على المماثلة والمطابقة، فإنَّ مشروعيَّة قيام منطق للعاطفة، ومنطق للغرائز، يستهدف خدمة الحياة، أمر مبرر تماماً، هذا ما يبدو لنا من محاولة نيتشه وسعيه لنقد منطق المماثلة والمطابقة بغية إحلال منطق يُدعى بمنطق الحياة القائم على فكرة الاختلاف.

28 – نيتشه، فريدريك، إرادة القوة، ص209.

المصادر والمراجع:

1- المصادر باللغة العربية:

1. نيتشه، فريدريك: *إرادة القوة*، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2011م.
2. نيتشه، فريدريك: *أفول الأصنام*، ترجمة سليمان حسون، دار الكوثر، دمشق، ط1، 2009م.
3. نيتشه، فريدريك: *العلم المرح*، ترجمة حسان بورقية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 1993م.
4. نيتشه، فريدريك: *الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي*، ترجمة سهيل القش، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1983م.
5. نيتشه، فريدريك: *إنسان مفرط في إنسانيته*، ترجمة محمد الناجي، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001م.
6. نيتشه، فريدريك: *ما وراء الخير والشر*، ترجمة سليمان حسون، دار الكوثر، دمشق، ط1، 2009م.

2- المراجع باللغة العربية:

1. إمام عبد الفتاح إمام: *مدخل إلى الميتافيزيقا*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005م.
2. أندلسي، محمد: *نيتشه وسياسة الفلسفة*، دار توبقال، المغرب، ط1، 2006م.
3. بن أحمد، يوسف: *منظورية الحقيقة عند نيتشه*، مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد102، 1998م.
4. بيكون، فرانسيس: *الأورجانون الجديد، إرشادات صادقة في تفسير الطبيعة*، ترجمة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013م.
5. حرب، علي: *الماهية والعلاقة، نحو منطق تحويلي*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1998م.
6. دفاتر فلسفية (نصوص مختارة)، *الحقيقة*، إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2005م.
7. زكريا، فؤاد: *نيتشه*، دار المعارف، مصر، ط2، د.ت.
8. صالح، هاشم: *فيلسوف القاعة الثامنة*، ضمن مجلة الكرمل، العدد 13، 1984م.
9. فهمي زيدان، محمود: *الاستقراء والمنهج العلمي*، دار الجامعات المصرية، الاسكندرية، 1977م.

3- المراجع باللغة الأجنبية:

1. Kanfman, Walter: *Nietzsche, Philosopher, Psychologist, Antichrist*, Princeton University press, New-Jersey, 1974.
2. Calin, A. s: *Unphilosophical Philosophy*, A thesis of Master, Faculty of Arts, Carleton University, 2013.